المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل
The Scientific Journal of King Faisal University
العلوم الإنسانية والإدارية
Humanities and Management Sciences

الجرائم الجنائية في موسم الحج وأثرها على المجتمع المكي في العصر المملوكي (648-923هـ)

Criminal Crimes During the Hajj Season and their Impact on Meccan Society in the Mamluk Era (1250-1517)

يوسف بن نصرة الله محمد
قسم العلوم الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

Youssef Bin NusrtAllah Mohammed
Social Science Department, College of Arts and Humanities. Taiba University, Medina, Saudi Arabia

KEYWORDS
الكلمات المفتاحية
criminal crimes, conflicts, the princes of Mecca, the Hajj princes, military measures
الجرائم الجنائية، الصراعات، أمراء مكة، أمراء الحج، الإجراءات العسكرية، إدارة الأوضاع الأمنية، آثار الجرائم

RECEIVED الاستقبال	ACCEPTED القبول	PUBLISHED النشر
28/03/2020	05/05/2020	01/03/2021

https://doi.org/10.37575/h/his/1010

الملخص

وقعت الصراعات المختلفة أثناء موسم الحج وأدت إلى حدوث جرائم جنائية خلال العصر المملوكي، واقتصر البحث على الجرائم الجنائية في مكة المكرمة. ويهدف البحث إلى التعرف على الدوافع وتحليل الأسباب والأحداث والنتائج لتلك الجرائم الجنائية التي حدثت في تلك الفترة. وقد تناول البحث مفهوم الجرائم ودوافعها؛ لتحديد الجريمة، وفي هذا البحث عرض وتحليل للصراعات التي حدثت في مكة، سواء أكانت بين أمراء مكة أو بينهم وبين أمراء الحج، وأيضاً بين أمراء الحج، والتي أدت إلى وقوع الجرائم الجنائية، كما تطرق البحث لجهود السلطة المملوكية السياسية والعسكرية في إدارة الحج وحفظ النظام والأمن، وتناول البحث أيضًا آثار تلك الجرائم على نواحي عدة.

ABSTRACT

Various conflicts occurred during the Hajj season. These led to criminal activities during the Mamluk era, and research focused on crimes in Makkah Al-Mukarramah. The research aims to identify the motives and analyze the causes, events, and results of the criminal activities that occurred during this period. The research dealt with the crimes and their intentions and defined the crimes. This research contains a presentation and analysis of the conflicts that transpired in Mecca between either the princes of Mecca or the princes of the Hajj, which resulted in an increase in criminal activity. The research revealed the efforts of the Mamluk authority regarding the political and military aspects of Hajj management, order, and security. The research also examined the impacts of these crimes from several angles.

1. المقدمة

إن الأمن الاجتماعي مطلب من مطالب الحياة والذي لا يمكن أن يتحقق إلاَّ بجهود البشر. قال تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) قريش: آية 4. ونشر الأمن في مكة المكرمة واجب حتمي لقول الله ﷻ: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) آل عمران: آية 97. وتطبيقًا النبيﷺ: "يا بني عبد مناف! لا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت وصلى؛ أية ساعة شاء؛ من ليل أو نهار".[1] فإذن أمن وسلامة الفرد والمجتمع وسلامتهم في مكة المكرمة مطلب أساسي على الدولة والمجتمع والفرد تجاه أي خطر، كجريمة القتل والخطف والسرقة والاعتداء وغير ذلك من الجرائم؛ لتحقيق وتوفير الاستقرار والطمأنينة خاصة في موسم الحج. وقد مرت دولة المماليك (648-923هـ/ 1250-1517م) منذ قيامها وفي بعض العهود بظروف وتحديات داخلية وخارجية أثرت على الأوضاع الداخلية في مكة المكرمة، كما كان التنافس والصراع السياسي بين أمراء مكة له تأثير واضح على استقرار الأحوال في مكة، وربما كانت تلك الظروف لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بحدوث الجرائم.

وظهرت عناية العديد من سلاطين دولة المماليك بضبط الأمن الداخلي في طرق الحج وطرق القوافل في المدن لاسيما في مكة المكرمة، وقاموا أيضاً بدور إيجابي في الجوانب الإدارية والسياسية والعسكرية والاجتماعية؛ للتقليل من حدة الجرائم خاصة في موسم الحج.

وتقع مكة المكرمة في غرب المملكة العربية السعودية بين خطي طول 49/39 شمالاً وخطي عرض 25/21 شمالاً.[2] كما تعتبر مكة المكرمة محطة تجارية ذات موقع استراتيجي؛ نظرًا لوجود الأسواق المختلفة فيها وقدوم القبائل العربية إليها قبل الإسلام، وقدوم الحجاج إليها بعد الإسلام، فهي تمثل منطقة تجارية تحط فيها السلع والبضائع من عدة جهات داخلية وخارجية.[3]

2. الدراسات السابقة

اقتصرت الدراسات السابقة على الجرائم عموماً، ولم تتعرض للجرائم الجنائية إلا في حالات قليلة، ومن تلك الدراسات:

- (إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية) وهي رسالة ماجستير للباحثة عائشة العبدلي -غير منشورة- قدمت دراسة مقتضبة عن النزاعات بين الأمراء وعن بعض الجرائم دون التركيز على الجرائم الجنائية.
- (الفتن والكوارث في مكة المكرمة في العصر المملوكي) رسالة ماجستير للباحثة أمل الزهراني -غير منشورة- عرضت وصفاً سريعاً ومختصراً أحياناً للفتن دون تحليل أكثر الأحداث.
- (الجرائم والعقوبات في الحجاز وأثرها في المجتمع خلال العصر المملوكي) وهي رسالة دكتوراه للباحثة ريم السابح -غير منشورة- وتُعد هذه الدراسة هي الأحدث والأشمل للجرائم عموماً، ولكن عندما تطرقت الباحثة للجرائم في موسم الحج كانت النماذج معدودة في ما يخص الجرائم الجنائية.

ويقتصر هذا البحث على دراسة الجرائم الجنائية التي حدثت في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في موسم الحج خلال العصر المملوكي، وهذه الدراسة تعتمد على الوصف والتحليل مما كتبته المصادر وقتذاك.

3. أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على مفهوم الجريمة الجنائية ومعرفة أنواعها وأسبابها. كما تهدف الدراسة إلى الوقوف على أشهر الجرائم الجنائية في موسم الحج والمشاعر المقدسة، والتعرف على العقوبات وطرق العلاج التي اتبعها السلاطين وأشراف مكة للحد من تلك الجرائم.

4. أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا البحث في إثراء المحتوى العلمي التاريخي فيما يتعلق بقضايا الجرائم الجنائية في موسم الحج، وإبراز دور السلطة المملوكية في

(1) رواه جبير بن مطعم ﷺ ، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 1218/7. وهو مخرج في " الإرواء " برقم، (2/238- 239).
(2) جيوماتيكا، أطلس مدينة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، ص14.
(3) أشواق مليباري، الأسواق في مدينة مكة المكرمة، ص41.

المؤلف المراسل: يوسف بن نصرة الله محمد myousef@hotmail.com ،00966505317376 Corresponding Author: Youssef Bin NusrtAllah Mohammed

محاولة القضاء على الجرائم الجنائية وعدم تكرارها، وإلقاء الضوء على الآثار المتعددة التي خلفتها الجرائم الجنائية.

5. التمهيد

5.1. الجريمة لغةً واصطلاحًا:

الجريمة لغةً: من الجُرْمُ وهو: التعدي، والجرم: الذنب، والجرم: مصدر الجارم الذي يَجْرِم نفسه وقومه شرّاً. وفلان له جريمة إليَّ أي جرم. والجارم: الجاني. والمجرم: المذنب.[4] واصطلاحًا: محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحدّ أو تعزير، ولها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء توجبه الأحكام الشرعية.[5] والجناية: الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة.[6] والجناية: كل فعل عدوان على نفس أو مال. لكنها في العرف مخصوصة بما يحصل فيه التعدي على الأبدان، وسموا الجنايات على الأموال غصبا، ونهبا، وسرقة، وخيانة، وإتلافا.[7]

5.2. أنواع الجرائم:

1. الاعتداء على النفس: مثل القتل، وله صور كثيرة ستتضح لاحقا.
2. الاعتداء على الأموال: مثل السرقة والنهب والربا والرشوة والضرائب.
3. الاعتداء على النسل: مثل الزنا.
4. الاعتداء على العقل: مثل شرب الخمر.
5. الاعتداء على الدين: مثل الزندقة أو إشهار المذهب الرافضي.[8]

5.3. دوافع الجرائم:

تكثر دوافع الجرائم بحسب الأحداث السابقة للجريمة، وتختلف أيضاً من جريمة لأخرى، وأحيانًا يتكرر الدافع وتختلف الجريمة، وتنحصر الدوافع في كونها إما دوافع سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو شخصية، ولو أردنا أن نفصل هذه الدوافع فمن أهمها:

1. الطمع السياسي بين الأشراف
2. تعسف بعض أمراء الحج
3. الاعتداء على أموال التجار والحجاج
4. العصيان وعدم الطاعة
5. فرض المكوس والجباية
6. المشاجرات والعزل والتمرد
7. تدخل التجار في الأمور الإدارية
8. النزاع بين الحجاج
9. ضعف بعض السلاطين
10. أعمال الربا والرشوة والتزوير.[9]

5.4. ملامح الأوضاع السياسية في مكة:

حكم مكة المكرمة خلال فترة البحث الزمنية مجموعة من الأمراء الأشراف، ويمكن تقسيم ذلك إلى أطوار كانت على النحو التالي:

- الطور الأول: في عهد الشريف حسن بن علي[10] ويُعدُّ أول حكام مكة زمن فترة البحث، وهو الذي استطاع القضاء على كتيبة الدولة الرسولية[11] في مكة واستقل بحكمها، وذلك في أواخر عام 647هـ/ 1249م وبداية عام 648هـ/ 1250م. وجاء من بعده الشريف أبو نمي محمد بن حسن[12] وكانت ولايتهما بين سنتي 647-701هـ/ 1249-1301م.[13]
- الطور الثاني: وهي الفترة التي تدهورت فيها الأوضاع السياسية في مكة، وكانت بين سنتي 701-746هـ/ 1301-1345م. وهي فترة الاضطرابات السياسية والتي تمثلت في حكم كل من: حميضة[14] – رميثة[15] – عطيفة[16] (أولاد أبي نمي).[17]
- الطور الثالث: هي الفترة التي شهدت تزايد النفوذ المملوكي، والتي امتدت من عام 746-797هـ/ 1345- 1395م. وتمثل فيها حكم كل من: ثقبة[18] وعجلان[19] (ابني رميثة بن أبي نمي) وأحمد[20] وعلي[21] (أبناء عجلان).[22]
- الطور الرابع: المتمثل في إمارة حسن بن عجلان[23] (الأولى والثانية) وكذلك إمرة ابنه بركات[24] وكانت بين سنتي (798-859هـ/ 1396- 1455م).[25]
- الطور الخامس: تمثل في إمارة محمد بن بركات بن حسن[26] واستمر هذا الطور خلال الفترة الممتدة بين سنتي (859-923هـ/ 1455- 1517م) وفي نهاية هذا الطور زال حكم دولة المماليك.[27]

وكانت بداية دخول مكة في الخلافات السياسية إبان حكم المماليك أثناء حكم الشريف أبي نمي محمد بن حسن، والذي كان يحكم بالمشاركة مع عمه إدريس بن قتادة[28] عام 669هـ/ 1270م لكنه أخرجه من مكة؛ لميل إدريس إلى صاحب اليمن، وكتب أبو نمي بذلك للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري[29] ووافق السلطان على تثبيته منفردًا في إمرة مكة بشروط وهي: تسبيل بيت الله للعاكف والباد، وألّا يؤخذ عنه حق، ولا يمنع زائرًا في ليل أو نهار، وألا يتعرض إلى تاجر ولا حاج بظلم، وأن تكون الخطبة والسكة له، ولأبي نمي على ذلك عشرون ألف درهم في كل سنة.[30] ولم يشأ الظاهر بيبرس التدخل في شؤون أمراء مكة الخاصة أو حتى فيما يتعلق بإمارة مكة، ويرجع ذلك إلى حداثة قيام دولة المماليك، وانشغال المماليك بالجهاد ضد الفرنج، والتصدي للمغول، وإصلاح الأمور الداخلية في مصر والشام. وحرص بيبرس على تهدئة الأوضاع السياسية في مكة والإصلاح بين أمراء مكة، وعين لهذه المهمة نائبًا عنه هو شمس الدين مروان الظاهري. وعادت النزاعات مرة ثانية بعد وفاة أبي نمي سنة 701هـ/ 1301م الذي كان قد أعلن قبيل وفاته بأن ابنيه حميضة ورميثة شريكان معه في إمارة مكة، وقد طالب كل من أبي الغيث[31] وعطيفة -أبناء أبي نمي- بإمرة مكة، ومعهما منازع ثالث وهو محمد بن إدريس،[32] وقد ساند السلطان محمد بن قلاوون (698-708هـ/ 1299-1308م) أبا الغيث وعطيفة على تولي إمرة مكة؛ ولكنهما لم يحسنا صنعًا في إدارة شؤون مكة وعزلا بأمر السلطان المملوكي في عام 704هـ/ 1304م وإعادة حميضة ورميثة بعد إخراجهما من السجن في مصر إلى إمارة مكة بمرسوم من السلطان.[33]

وذكرت العديد من المصادر تكرار الخلافات السياسية بين أمراء مكة الذين وصلوا إلى إمارة مكة حتى نهاية عصر المماليك وسنقف على أهم الخلافات لاحقًا. كما أن دور سلاطين المماليك، سلبًا أو ايجابًا، كان له تأثير في الحد

(4) ابن منظور، لسان العرب، 91/12.
(5) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص322.
(6) ابن منظور، لسان العرب، 154/14.
(7) ابن قدامة، المغني، 259/8.
(8) محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، ص40.
(9) محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، ص45.
(10) حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، أمير مكة وينبع، ولي إمارة مكة نحو أربع سنين 647-651هـ. الفاسي، العقد الثمين، 397/3.
(11) الدولة الرسولية، قامت في اليمن سنة 628هـ/ 1231م على يد المؤسس الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، وسقطت سنة 858هـ/ 1454م. فرج السبيعي، الدولة الرسولية في اليمن، ص12.
(12) محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، أبو نمي الأول حكم مكة سنة 653هـ/ 1255م، وتوفي سنة 701هـ/ 1301م. الفاسي، العقد الثمين، 148/2.
(13) الفاسي، العقد الثمين، 397/3.
(14) حُمَيْضة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي، أمير مكة. ولها سنة 701هـ/1301م مشتركا هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلا إلى أن قُتل حميضة، غيلة، في وادي نخلة سنة 720هـ. العقد الثمين، 445/3؛ الزركلي، الأعلام 285/2.
(15) رميثة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي، من أمراء مكة. ولها مشتركا مع أخيه حميضة، وانفرد بالأمر سنة 738-745هـ ونزل عن الإمارة لأولاده. العقد الثمين، 100/4؛ الزركلي، الأعلام، 33/3.
(16) عطيفة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي، تولى إمارة مكة سنة 701هـ وعزل سنة 704هـ وأعيد سنة 719هـ فأحسن السيرة ولم يتعرض لأموال الناس، كف العبيد. واستمر إلى سنة 738هـ. المقريزي، السلوك 188/3؛ الزركلي، الأعلام 237/4.
(17) الفاسي، العقد الثمين، 445/3.
(18) ثقبة بن رميثة بن أبي نمي، أمير مكة. تولى الإمارة سنة 761هـ واستقل بها إلى أن مات 763هـ. الزركلي، الأعلام، 100/2.
(19) عجلان بن رميثة بن أبي نمي، أمير مكة كان أول قدومه من مصر سنة 746هـ فخلع عليه واستقر عوض أبيه وهو حي ثم قدم سنة 751هـ وقد ركب عليه أخوه ثقبة فاستخدم جندا واستمر هو وأخوه ثقبة شريكين، وتوفي سنة 770هـ. العقد الثمين، 196/5؛ ابن حجز، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 266/3.
(20) أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، استقل بإمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة 777 هـ واستمر بها إلى أن توفي سنة 778هـ. وكان كريما حسن السيرة، رغّب كثير من التجار في أيامه بسكنى مكة لعدله. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 237/1؛ الزركلي، الأعلام، 168/1.
(21) علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، تولى إمارة مكة سنة 789هـ، وحكم ثمان سنين، وقتل سنة 797هـ. الفاسي، العقد الثمين، 281/5.
(22) الفاسي، العقد الثمين، 189/5.
(23) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، تولى إمارة مكة سنة 798هـ، وعزل وأعيد مرتين. ثم توجه سنة 828هـ إلى مصر للقاء السلطان برسباي، فتوفي فيها. الزركلي، الأعلام، 198/2.
(24) بركات بن حسن، تولى إمارة مكة شريكا مع والده، واستقل بها سنة 829هـ، وعزل سنة 845هـ ثم حكم مرة ثانية سنة 850هـ إلى أن توفي سنة 859هـ. ابن تغري، المنهل الصافي، 346/3.
(25) الفاسي، العقد الثمين، 335/5.
(26) محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، تولى بعد وفاة أبيه سنة 859 هـ وكان على شيء من العلم، وفيه فضائل. بنى في مكة عمارات لم يسبق إلى مثلها. واستمر في الإمارة إلى أن توفي. الزركلي، الأعلام، 51/6.
(27) العصامي، سمط النجوم العوالي، 54/4، 288.
(28) إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، ولي حكم مكة نحو سبع عشرة سنة، شريكا لابن أخيه أبي نمي في أكثر هذه المدة، وفي سنة 669هـ دارت حرب بينه وبين أبي نمي في مكة وقيل في خليص، وظفر أبو نمي بإدريس، فألقاه عن جواده ونزل إليه وحزّ رأسه. الفاسي، العقد الثمين، 175/3.
(29) الظاهر بيبرس البندقداري، (658هـ/ 676هـ) كانت بداية نشأته وتربيته مع أستاذه الأمير علاء الدين أيدك ين البندقداري عندما اشتراه سنة 640هـ/1243م تقريبًا، وكان عمره وقتذاك أربعة عشر عامًا، وكان ملازمًا له فتعلم منه الكثير، ثم اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وترقى في خدمته. المقريزي، السلوك، 520/1.
(30) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص351.
(31) أبو الغيث محمد بن حسن بن علي، من أمراء مكة. تولى إمرة مكة مع أخيه عطيفة سنة 701هـ، ثم تولى مرة ثانية إمارة مكة سنة 713هـ. الفاسي، العقد الثمين، 448/3.
(32) محمد بن إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، تولى إمارة مكة مشاركة مع أبي الغيث سنة 701هـ. العقد الثمين، 117/2.
(33) الفاسي، العقد الثمين 332/1.

من النزاع بين الأشراف أو استمرارها؛ وأيا كان هذا أو ذاك فقد كانت تلك النزاعات لها تأثير على عدة جوانب في الحياة العامة، فكثرت الجرائم الجنائية في موسم الحج مثل القتل والنهب والسرقة وانعدام الأمن.

6. الجرائم الجنائية في موسم الحج

6.1. الصراع السياسي بين أمراء مكة:

بدأت الصراعات على إمارة مكة بين الأشراف بشكل ملحوظ منذ قيام دولة المماليك حتى نهايتها حيث تخللتها فترات من الهدوء والاستقرار السياسي في مكة، ومن أهم أسباب ذلك الصراع هو التنافس على إمارة مكة، ولو كلف ذلك قتل الأخ أو العم أو غيرهما. والسؤال الذي يطرح نفسه، ما سبب تكرار هذا الصراع في عصر الدولة المملوكية والذي قد بلغ أكثر من ثلاثين حادثة؟ والجواب هناك عدة أسباب نستنتجها من الأحداث وتصرف الدولة المملوكة مع أمراء مكة آنذاك، منها: الطمع في إمارة مكة والمال والجاه، أو التعامل بالليل من جانب السلاطين في كثير من الأحيان وبالشدة أحياناً قليلة، أو لانشغال السلاطين في الجهاد ضد الفرنج والمشاكل الداخلية في مصر والشام، أو لاهتمام بعض السلاطين بأمور التجارة بين الشرق والغرب، وتركت الأشراف ينشغلون فيما بينهم؛ لأن عوائد التجارة أخذت جل اهتمامهم، أو لخوف السلطة المملوكية من فقد السيادة الدينية وهي بحاجة إلى هذه السيادة منذ قيامها حتى تعترف كل مناطق العالم الإسلامي بها فأثرت أن تميل إلى سياسة الإصلاح وتهدئة الأوضاع بين الأشراف. وعلى أي حال سنعرض نماذج من تلك الصراعات التي حدثت بين الأشراف.

كان الشريف الحسن بن علي بن قتادة يحكم مكة بعد أن انتزعها من ملك اليمن الملك المنصور[34] سنة 647هـ/1249م. وقُتل حسن بن علي بسبب الطمع السياسي في الحكم، إذ أقدم عليه ابن عمه الشريف جماز بن حسن بن قتادة[35] الذي أغرى قائد الحملة الشامية بمساعدته في انتزاع الحكم من الشريف حسن مقابل الدعاء للملك الناصر يوسف بن محمد[36] فتمت المؤامرة وقتل الشريف حسن بن علي سنة 651هـ/ 1253م. ونقض العهد الذي كان للملك الناصر وجعل الخطبة للمظفر صاحب اليمن.(37) وفر الشريف جماز بن حسن إلى ينبع عندما قدم عمه الشريف راجح بن قتادة، ودخل مكة وحكمها حتى شهر ربيع الأول سنة 652هـ/ 1254م. وبسبب الطمع السياسي أيضًا وعدم استطاعة الشريف راجح أن يكبح جماح ابنه الشريف غانم فقد أخرج والده من مكة دون قتال، وحكم حتى شهر شوال من السنة نفسها، وفيها دخل إدريس بن قتادة، وأبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة بعد قتال مات فيه ثلاثة رجال استطاعا انتزاع إمارة مكة من الشريف غانم.[38]

وقد يؤدي الطمع في السلطة إلى الغدر ونقض العهد وهذا ما فعله الشريف أبو نمي محمد بن حسن ابن قتادة مع عمه إدريس بن علي المشترك معه في إمرة مكة، فقد تغلب عليه وأخرجه في سنة 654هـ/ 1256م، ثم اصطلحا، وفي سنة 667هـ/ 1269م أخرج أبو نمي عمه إدريس مرة ثانية، وعاد بعقد صلح بينهما، وتغلب الشريف إدريس على أبي نمي في سنة 669هـ/ 1270م وأخرجه من مكة، وتوجه أبو نمي إلى ينبع وعاد بقوة وتقاتل مع عمه إدريس بخليص[39] وظفر به، ودخل أبو نمي محمد بن حسن مكة. ولعل هذا الصراع كان بسبب ميل الشريف إدريس إلى صاحب اليمن كما تذكر بعض المصادر.[40]

واستقرت الأوضاع في مكة حتى سنة 701هـ/ 1302م، وعاد الصراع بين الإخوة ثانية بعد أن توفي الشريف أبو نمي محمد بن حسن تولى اثنان من أبنائه إمرة مكة وهما حميضة ورميثة، وبسبب الطمع في السلطة عاد الصراع بين الأشراف، إذ خرج عليهما اثنان من الإخوة وهما عطيفة وأبو الغيث،[41] وانقسم الناس إلى قسمين في مكة، قسم يؤيد حميضة ورميثة وقسم يؤيد عطيفة وأبا الغيث، واشتد تأثير هذا الخلاف ووصل إلى قواد حملات الحج وانقسموا قسمين، ونتج عن هذا الانقسام أن قائد الركب المصري الأمير بيبرس بن عبد الله المنصوري[42] وقف في صف الأخوين المعارضين عطيفة وأبي الغيث، وتم القبض على الأخوين حميضة ورميثة وأخذا إلى مصر وسجنا حتى سنة 704هـ/ 1304م،[43] ثم أفرج عنهما وقدما مكة بصحبة حملة عسكرية للمحافظة على الحجاج والأمن وتنفيذ الأوامر ومعهما مرسوم تولي إمرة مكة وعزل عطيفة وأبو الغيث. فلما انقضى الحج أحضر الأمير ركن الدين بيبرس أبا الغيث وعطيفة وأخبرهما بأوامر السلطان فلم يقبلا، وقبض عليهما وتوجه إلى مصر، وقد حسنت سيرة الشريفان حميضة ورميثة وأبطلا شيئاً من المكوس[44] آنذاك واستقرت أحوال مكة.[45]

وتغيرت نفوس الأميرين حميضة ورميثة وفرضا الضرائب على الحجاج والطريق المؤدية إلى المشاعر المقدسة، وفقد الأمن، فأعادت دولة المماليك إمرة مكة إلى أبي الغيث سنة 713هـ/ 1313م، وفي سنة 714هـ/ 1314م استطاع حميضة انتزاع الحكم من أبي الغيث وقتله، وتوجه الشريف رميثة إلى مصر وأعلن الولاء وصدر مرسوم بتعينه على إمرة مكة، وتطورت الأحداث إلى أن وصل التنافس بين الحكومات بسبب الطمع في السلطة، فقد توجه الشريف حميضة إلى حكومة الدولة الإيلخانية[46] في العراق وطلب المساعدة مقابل الدعاء للحاكم، ونجح حميضة في دخول مكة واغتصاب إمارة مكة سنة 718هـ/ 1318م والدعاء لحاكم الدولة الإيلخانية أبي سعيد بهادور[47] وبهذا تطور الصراع ووصل بين حكام الدول الإسلامية.[48] ومن ذلك ما حدث سنة 761هـ/1360م فقد استطاع حاكم الدولة الجلائرية[49] السلطان أويس بن حسن بزرك[50] أن ينفرد بالدعاء له في الحرم المكي من خلال نفوذه وسيادته على مكة المكرمة حتى سنة 771هـ/ 1370م وكان ذلك بعد أن تعاون مع شريف مكة عجلان بن رميثة وبذل العطايا والأموال والمساعدات، وكل ما حدث بسبب الطمع في السلطة من قبل أمراء مكة وأمتد الطمع إلى حكام الدول الإسلامية في السيطرة على مكة المكرمة لنيل شرف الدعاء لهم في الحرم المكي أمام الحجاج.[51]

وكثيرا ما تكررت أحداث الطمع في السلطة بين الأمراء، فعندما تنازل الأمير رميثة عن الحكم لابنه عجلان سنة 647هـ/ 1345م قام ثلاثة من إخوته[52] بمنافسته على الحكم، فما كان من الدولة المملوكية إلاَّ إشراكهم في إمارة مكة، والغرض من ذلك ضمان الولاء والدعاء للسلطان المملوكي وعدم ظهور أي قوة من قبل الحكام الأربعة، ولم توفق الدولة المملوكية في ذلك، وعاد الصراع بين الإخوة الأربعة وخاصة من قبل الشريف ثقبة الذي هرب

(34) الملك المنصور، (628-647هـ/ 1231-1250 م) هو عمر بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية. الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، 1/51.
(35) جماز بن حسن بن قتادة الحسني، دامت ولايته إلى أخريوم من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة. الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، 2/240.
(36) الملك الناصر، يوسف بن محمد بن غازي صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب حلب ودمشق. كان محبا للأدب والعلم، أنشأ مدرسته بدمشق، وحضرها يوم التدريس، و أنشأ الرباط الكبير، له عدة أوقاف، قتله هولاكو بعد معركة عين جالوت سنة 659هـ. ابن حبيب، درة الأسلاك، 1/175؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، 7/202؛ الزركلي، الأعلام، 8/249.
(37) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، 3/74.
(38) الفاسي، العقد الثمين، 1/331؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 3/76.
(39) خليص، حصن بين مكة والمدينة، شمال مكة وبعد عنها 100كم. ياقوت الحموي، معجم البلدان 2/387؛ عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ص566.
(40) الفاسي، العقد الثمين، 1/331؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 3/78-99؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 1/379.
(41) أبو الغيث بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي، من أمراء مكة. تولى إمرة مكة مع أخيه عطيفة سنة 701هـ، ثم تولى مرة ثانية إمارة مكة سنة 713هـ. الفاسي، العقد الثمين، 3/448.
(42) بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، الملك المظفر، من سلاطين المماليك بمصر والشام. وتسلطن في 13 شوال سنة 708هـ ولقب بالمظفر، توفي سنة 709هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة، 5/407؛ الزركلي، الأعلام، 2/79.
(43) ابن أيبك، كنز الدرر، 9/142؛ الفاسي، العقد الثمين، 1/331.
(44) المكس: الجباية، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية. والمكس، الضريبة التي يأخذها الماكس من التجار. ووضعت على الحجاج في فترات مختلفة. لسان العرب، 6/220؛ علي الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص120، 296.
(45) ابن فهد، إتحاف الورى، 3/142؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 1/388.
(46) الدولة الإيلخانية: (695هـ- 756هـ/ 1295- 1355م) دخل غازان بن أرغون الإسلام وعندما وصل إلى الحكم أعلن إسلامه سنة 695هـ/1295م وتبعه أمرائه وعساكره، وقد أنقذ دولته من الانهيار الاقتصادي والسياسي؛ لاسيما و أنه محاط بالمسلمين، كما أنه أعلن بأن دولته دولة إسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية. محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص265.
(47) أبو سعيد بهادور: (717-736هـ/ 1317- 1335م) تولى الحكم وهو في الثالثة عشرة من عمره خلفاً لوالده. طقوش، تاريخ المغول، ص318.
(48) المقريزي، السلوك، 2/526؛ طقوش، تاريخ المغول، ص330.
(49) الدولة الجلائرية: (741-836هـ/ 1340-1433م) كان مقر السلطة في بغداد وتبريز والبصرة، وحكمت كل مدن أذربيجان وأران وموغان ووصلت إلى الشرق حتى المدن السلطانية وبحر الخزر. شعبان طرطور، الدولة الجلائرية، ص7، 56.
(50) أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان: (757هـ- 776هـ/ 1356-1374م) كان عادلاً محباً للرعية. ابن تغري، المنهل الصافي، 3/117؛ شعبان طرطور، الدولة الجلائرية، ص26-34.
(51) الفاسي، العقد الثمين، 1/347؛ الفاسي، شفاء الغرام، 2/302؛ ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، 1/82.
(52) الأخوة الثلاثة هم: مغامس وقد توفي قتيلا سنة 761هـ، وثقبة الذي عزل سنة 760هـ وتوفي سنة 762هـ، وسند الذي توفي سنة 763هـ. الفاسي، العقد الثمين، 4/245؛ اليمني، البدر الطالع، 1/181؛ الغازي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، 3/211.

من سجن القاهرة سنة 756هـ/ 1355م، وفي موسم سنة 761هـ/ 1360م هاجم مكة وفعل أفعالاً قبيحة ونهب خيول الأمراء المصريين حتى وفاته سنة 762هـ/ 1361م، واستقرت الأوضاع واستولى على ما في بيوتهم وتقاتل معهم في المسجد الحرام وقتل عدداً منهم وأسر الكثير مع أميرهم.[53] هذه بعض الأحداث المريرة التي حصلت بسبب الطمع في السلطة وقد خلفت الكثير من الآثار والمآسي التي سنذكرها لاحقاً.

6.2. الصراع بين أمراء مكة وأمراء الحج:

حدثت العديد من الصراعات بين أمراء مكة وأمراء الحج لأسباب مختلفة، ومنها: الاعتداء على الأموال، ففي سنة 707هـ/ 1307م اعتدى العبيد[54] على أموال بعض التجار، فقد وقف بعضهم على دكان أقمشة فأخذ قماشاً دون أن يدفع الحساب فمنعه التاجر، فضرب العبد التاجر، فصاح الناس وثاروا فأرسل أمير الركب المصري نوغاي مماليكه إلى العبيد؛ ليقبضوا عليهم، فتم القبض على البعض وفر البعض بعدما أصيبوا بجراح، فنادى الشريف حميضة بن أبي نمي محمد بن الحسن العبيد والأشراف بالحرب، وتجهز أمير الركب المصري للحرب وأمر بألا يخرج أي حاج وعلى كل حاج حفظ متاعه، واضطربت الأوضاع، وانطلق فوجد مجموعة من قبيلة السرو[55] تهرب نحو الجبل؛ لتبتعد عن المكان فقتل جماعة منهم ظنًا أنهم من العبيد، فذهل حميضة وتوقف عن القتال، والتف الناس حول أمير الركب المصري ومازالوا به حتى انكشف له الأمر وعرف أنه قتل أناسًا لا ذنب لهم واستقرت الأمور وأكمل الناس مناسكهم.[56]

ومن الأسباب أيضاً في الوقوع في الجرائم الجنائية في موسم الحج المشاجرات، فعندما أنهى الحجاج مناسك الحج في سنة 730هـ/ 1330م وفي أثناء خطبة الجمعة عبث بعض عبيد الأشراف مع بعض حجاج العراق، ونهبوا من أموالهم،[57] والأمير عطيفة بن أبي نمي أمير مكة جالس إلى جانب أمير الركب، فاستصرخ الناس، واستغاثوا بالأمير أيدمر أمير الركب المصري، فقام بمنع العبيد وسبقه ابنه خليل الذي ضرب بعض العبيد فطعن بحربة أحدهم فمات، فغضب والده، وطلب الثأر فقُتِل بحربة أخرى من الأمير مبارك بن عطيفة، وقُتِل معه عددًا آخرين، فقام الأمير عطيفة ليرد العبيد فلم يستطع، فعجل الخطيب بخطبته وصلاته، وتدافع الناس وأسرعوا إلى خيامهم؛ ليحفظوا أموالهم، واستحل الحرم في هذا اليوم، وكثرت المشاجرات والرمي بالسهام والحجارة، وسعى أمير الركب العراقي في تهدئة الأوضاع مع الأمير عطيفة حتى خرج الحجاج من مكة، بعد أن خلفت هذه المشاجرات الرعب والصراع والقتل وفقد الأمن والأمان في بيت الله الحرام.[58]

وفي سنة 761هـ/ 1360م حدث نزاع عنيف بين أمراء مكة وجند المماليك، ونهب بنو حسن من الأشراف المماليك ودار قتال بين الطرفين، وسبب ذلك أن بعض الأتراك نزلوا بدار للأشراف -من ذوي علي بن قتادة[59]- فطالبوا الكراء (الإيجار) فضرب التركي الشريف، فقتل الشريف التركي فثار أصحاب التركي ليقتلوا الشريف، فنادى الشريف جماعته وبدأ النزاع، وتجهز الطرفان للقتال وقطع الأمير ابن قراسنقر[60] طوافه وتوجه للمدرسة المجاهدية؛ ليحفظها؛ لأنه كان نازلاً فيها وتحصن باقي الأتراك في الرباع بأجياد ومعهم أمير الركب المصري قندس، ودار قتال عنيف في الرباع هزم فيه المماليك وقتل منهم حوالي سبعة عشر نفرا، وسبعة من غلمانهم، وهرب الأمير قندس ومن بقي معه واستجاروا بالأمير مبارك بن رميثة فأجاروه، ونهب الأشراف كل ما في منزل قندس، ثم توجه الأشراف وعلى رأسهم الأمير مغامس بن رميثة بعد ذلك إلى المسجد الحرام والمدرسة المجاهدية؛ ليقاتلوا المماليك ودار قتال بينهم قتل فيه الأمير مغامس، وعندئذ دخل الأمير ثقبة وتولى إمرة مكة مع أخيه سند، وحاولا الإصلاح بين المماليك والأشراف من بني حسن فلم يستطيعا، وأسر جماعة من المماليك وتم بيعهم بأبخس الأثمان، وعذب الأمير قندس ثم بيع بدرهمين وشفع فيه قاضي مكة وأخرجه مع أولاده من مكة، وتقاسم الأشراف ما تم نهبه واستقرت الأوضاع وعاد الأمن.[61]

ومما وقع أيضًا بسبب تعسف بعض أمراء الحج، ما حصل في سنة 788هـ/ 1386م حينما توجه أمير مكة محمد بن أحمد ابن عجلان[62] لاستقبال الركب المصري -وهي عادة كانت متبعة عند استقبال الركب- وحينما أراد تقبيل خف الجمل[63] الذي عليه المحمل السلطاني[64] انقض عليه شخص وقتل الأمير محمد بن أحمد بزعم أن الملك الظاهر برقوق[65] أمره بذلك، فما كان من عمه كبيش بن عجلان[66] إلا أنه جمع من معه وخرج من مكة خوفًا على نفسه وخشي أن ينهب الحجاج من قبل جماعة، وبقي خارج مكة إلى أن انتهى الحج ودخل مكة وقابل ببطا الخاصكي -رئيس المبشرين- وقال له: " أعلم السلطان أنني طائع وأنني منعت العرب من نهب الحاج وأنني لا أرجع عن طلب ثأري من غريمي عنان".[67] وأورد الفاسي أن سبب القتل هو: "أن السلطان برقوق ولى الأمير محمد، وغضب عليه لما بلغه عنه من موافقته على كحل أعين الأمراء[68] الذين مات أبوهم، وهم في سجنه، وهم: عمه محمد بن عجلان، وخالاه: أحمد، وحسن أبنا ثقبة، وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة؛ لأن السلطان المذكور كان سأل أباه في إطلاقهم فامتنع، فأضمر السلطان ولاية عنان بن مغامس بن رميثة[69] لإمرة مكة بدلاً من محمد، وسيره مع الحاج المصري".[70] وفي سنة 812هـ/ 1409م حدث نزاع بين الأمراء الحسنيين وأمير الركب المصري وسبب هذا الشجار أن السلطان فرج بن برقوق[71] أصدر مرسومًا بعزل الأمير حسن بن عجلان وأولاده عن إمرة مكة وسلمه سرًا لأمير الركب المصري الذي استعد للقتال واصطحب معه السلاح، وعلم الأمير حسن بذلك عن طريق عيونه فتجهز للحرب وجمع الأعراب من مكة والطائف والقبائل المجاورة وأمر القواد[72] والعبيد وبني حسن والعامة فكون جيشًا قوامه ستة آلاف رجل، وتردد في القتال؛ خشية مضرة الحجاج، واقترح عليه البعض بأن يرسل رسولاً لأمير الركب المصري يوضح له الأمر الحج أو القتال ويذكره بحرمة مكة وسفك الدماء، وعندئذ أرسل السلطان فرج خادمه فيروز ومعه مرسوم بإعادة حسن بن عجلان وابنيه لإمرة مكة، ووصل فيروز إلى باب مكة وظن أمراء مكة أنها مكيدة ودارت مناوشات قتل فيها بعض من كان مع فيروز الذي دخل مكة مكسوراً فطيب الأمير خاطره، وأعلن المرسوم بتولية حسن بن عجلان الذي اشترط على المحمل بعدم دخول مكة بالسلاح، ووضع آلات الحرب في أجياد عند رباط ربيع بن عبد الله، على أن يسلموا أسلحتهم وقت خروجهم بعد الحج،

(53) العقد الثمين، 5/189؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 2/78؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 3/266؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 1/404.
(54) العبيد: يستخدمون في مكة لحفظ الأمن والنظام، وللأشراف عدد كبير منهم. ابن فهد، بلوغ القرى في ذيل إتحاف القرى. ص170.
(55) قرية السرو: السرو جبل جنوب الطائف على بعد 21كم، وعلى مقربة منها قرية كبيرة تلي مكة، وفي كل موسم يقدمون مكة لحمل الميرة وجلبها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/217؛ البلادي، معجم معالم الحجاز، ص808.
(56) المقريزي، السلوك، 2/421؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 3/145؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 1/388.
(57) يذكر المقريزي أن سبب هذه المشاجرة أن ذلك كان بأمر وبتدبير وتحريض من الملك الناصر محمد بن قلاوون مع الشريف عطيفة، لقتل أمير الركب العراقي محمد الحجيج، وبلغ عند أبي سعيد حاكم العراق منزلة كبيرة، وقد بلغه أنه ذكره في مجلس أبي سعيد بما لا يحب، فأسرها محمد بن قلاوون في نفسه إلى أن كانت هذه السنة وعرف الناصر أن المذكور هو أمير الركب العراقي، فكتب إلى الشريف عطيفة سرا أن يطلب منه قتل محمد الحجيج، فاستجاب لأمر السلطان، وكانت هذه الفتنة التي لم تحقق هدفها. ونجا أمير الركب العراقي. السلوك، 3/133. وقد يكون في ذلك مبالغة؛ لأن سيرة السلطان محمد بن قلاوون في الرعية وتعامله لا يتوافق مع هذا الفعل لا سيما وأن قوة دولة المماليك آنذاك كانت ظاهرة وجلية أمام الدولة الإيلخانية.
(58) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 31/312؛ ابن أيبك، كنز الدرر، 9/353؛ الفاسي، العقد الثمين، 5/215؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 3/189؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 1/396.
(59) علي بن قتادة: استولى على مكة في شهر ذي القعدة سنة 644هـ. المقريزي، السلوك، 1/451.
(60) ناصر الدين بن قراسنقر المنصوري: أمير الركب الشامي. الفاسي، العقد الثمين، 2/264.
(61) الفاسي، شفاء الغرام، 2/300؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 3/282؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 1/413.
(62) محمد بن أحمد بن عجلان: شارك أباه ثمان سنوات في إمارة مكة، وانفرد بالحكم مدة مائة يوم في سنة 780هـ/ 1378م، ولم يكن له ذكر أو عمل في عهد والده، وعندما انفرد بالحكم كان عمه يدير كافة الأعمال. الفاسي، العقد الثمين، 2/33.
(63) هذا التقبيل من البدع التي ظهرت في العصر المملوكي.
(64) المحمل: هو ما يحمل على الجمل وهو في هيئة لطيفة من خركاه وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر وبأعلاه قبة من فضة مطلية، وفي كل سنة يجهز المحمل من الديار المصرية بكسوة البيت مع أمير الركب ويكسى البيت بالكسوة المجهزة مع المحمل، ويأخذ سدنة البيت الكسوة التي كانت على البيت فيهادون بها الملوك وأشراف الناس. ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج للاقاته فإذا وافاه ترجل عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمحمل فقبل خف يده اليمنى. القلقشندي، صبح الأعشى، 4/59، 281.
(65) السلطان الظاهر برقوق: حكم فترتين (784-791هـ ومن 792-801هـ) وهو أول ملوك الجراكسة. ابن تغري، النجوم الزاهرة، 11/221، 12، 1/12.
(66) كبيش بن عجلان: أمير جدة وكان صاحب نجدة وشجاعة، قتل في مكة سنة 789هـ. الفاسي، العقد الثمين، 2/336.
(67) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، 1/318.
(68) كحل أعين الأمراء: أي أحمى مسامير الحديد ثم كحلهم بها. ابن منظور، لسان العرب، 4/378.
(69) عنان بن مغامس بن رميثة: تولى إمارة مكة مرتين، ولاه الظاهر برقوق (صاحب مصر) بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان سنة 788 هـ، ثم عزله سنة 789هـ فرحل إلى مصر سنة 794 هـ فأقام إلى أن توفي فيها. الفاسي، العقد الثمين، 5/416؛ الزركلي، الأعلام، 5/90.
(70) العقد الثمين، 2/33، 3/6؛ السلوك، 5/189؛ السخاوي، الضوء اللامع، 6/147.
(71) السلطان فرج بن برقوق: تولى السلطة مرتين من سنة 801هـ حتى سنة 814هـ، وهو السلطان السادس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، والثاني من الجراكسة. ابن تغري، النجوم الزاهرة، 12/168، 13/154.
(72) القواد: هم أتباع الأشراف وموالوهم وكانت لهم قوة عظيمة ونفوذ كبير، ويقع عليهم مسئولية الدفاع عن مكة وحفظ الأمن فيها. ويعرفون أيضاً باسم، القواد العمرة، أو القود ذوي عمر، وهم خوال الشريف أحمد بن عجلان. الفاسي، العقد الثمين، 5/195؛ ابن فهد، بلوغ القرى في ذيل إتحاف القرى، 1/171.

وتم ذلك، وظهرت مشكلة الأعراب الذين رفضوا العودة دون الحصول على الغنائم رغم محاولة الأمير حسن بمنعهم، فبادروا بالهجوم على الحجاج وأرعبوا وقتلوا ونهبوا وعقروا جمالاً كثيرة وسرقت الأموال من الناس، ولم يستطع أمير مكة إيقافهم وآثر ألا يذهب إلى المشاعر المقدسة خشية وقوع نزاع أو قتال مع الركب المصري.[73]

6.3. الصراع بين أمراء الحج:

قامت الصراعات بين أمراء الحج لأسباب عدة، ومنها السباق في دخول مكة المكرمة، فقد حاول أمير الركب (المحمل) العراقي الدخول إلى مكة قبل المصري والشامي، وحدث ذلك في سنة 876هـ/ 1471م إذ حاول أمير المحمل العراقي التقدم على المحمل المصري فلم يستطع؛ لعدم السماح لهم، ثم أرادوا السير من جهة اليمين فلم يستطع، فتأخروا للميسرة، وبسبب ذلك تعرض المحمل العراقي للضرب والإهانة من قبل المحمل المصري والشامي. ويبدو أن الطريق كان ضيقًا أثناء الدخول، ولم يستطع المحمل المصري والشامي فسح الطريق؛ لاستعجال المحمل العراقي في الدخول وعدم التريث، وتسبب ذلك في التشابك والضرب.[74]

وقد حدث نزاع بين أمراء الحج المصري من جهة وأمير الحج اليمني والعراقي من جهة أخرى، بسبب محاولة أمير المحمل اليمني والعراقي أن يكسو الكعبة بأمر حكومتهما، وكانت دولة المماليك ترفض هذا التدخل فيما يخص الحرميين. ففي سنة 780هـ/ 1378م أمر الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل صاحب اليمن بتجهيز المحمل اليمني ومعه كسوة الكعبة وعندما وصل المحمل اليمني إلى مكة منعه أمير الركب المصري قرادمرداش الأحمدي[75] واختلفا وكادت الفتنة أن تحصل لولا تدخل شريف مكة أحمد بن عجلان وحل النزاع بينهما بالسماح بدخول المحمل والوقوف بعرفة ويعودون بمحملهم بعد انتهاء الحج.[76]

وفي سنة 877هـ/ 1472م حاول أمير الحج العراقي أن يدخل مكة ومعه كسوة الكعبة والهدايا، فمنعه أمير الحج المصري وأمر أمير الحج الشامي أن يعسكر ما بين الحجونين حتى لا يدخل ركب المحمل العراقي من هذا الطريق، فبقي أمير الحج الشامي ومعه الحجاج الشاميين حتى اليوم السادس، وفي ليلة اليوم السابع من ذي الحجة قدم أمير مكة محمد بن بركات ابن حسن وأمير الحج المصري والجند وسمحوا بدخول الحجاج العراقيين بدون المحمل، وقيدوا أمير الحج العراقي ومعه الدوادار[77] وادخلا مكة في اليوم السابع راكبين على راحلتين وحجا على هذا الحال، وبعد انتهاء المناسك أخذا إلى القاهرة مع المحمل العراقي وفيه الكسوة والزينة.[78] وقد تشدد أمير المحمل العراقي في طاعة أوامر أمير مكة ولذلك تعاملوا معه بهذا الأسلوب.

وتكررت المحاولة من قبل المحمل العراقي سنة 880هـ/ 1475م فمنع أمير الركب المصري لاجين الظاهري جقمق دخول المحمل إلى مكة وسمح بدخول الحجاج وأتموا حجهم وعادوا بالمحمل إلى العراق.[79] ويبدو أن حاكم دولة المغول كان مصراً على أن يكسو الكعبة، فقد تكررت المحاولة سنة 886هـ/ 1481م إذ قدم المحمل العراقي ومعه كسوة الكعبة وحاول الدخول ولكنه منع، وكادت أن تقع المنازعات ولكن الله سلم.[80] وقد تبين للباحث أن هذه المحاولات الثلاث وغيرها من قبل حكومة المغول أو حكومة اليمن لم تتكرر إلا طمعًا في السيطرة السياسية والدينية على الحرمين ومن ثم الجهات الأخرى من العالم الإسلامي.

(73) الفاسي، شفاء الغرام، 248/2؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 471/3.
(74) ابن فهد، إتحاف الورى، 542/4؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 469/1.
(75) الأمير قرادمرداش: أمير المجلس، وهو لقب على من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره. القلقشندي، صبح الأعشى، 428/5؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 165/11.
(76) الفاسي، شفاء الغرام، 302/2؛ ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، 178/1؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 713/3؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 417/1.
(77) الدوادار: لقب على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما ويتولى أمرها مع ما ينضم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال. وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الدواة والمراد التي يكتب منها والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك. القلقشندي، صبح الأعشى، 434/5؛ محمد العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، ص127.
(78) ابن فهد، إتحاف الورى، 557/4؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 469/1؛ العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 290/4.
(79) ابن فهد، إتحاف الورى، 594/4؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 470/1؛ العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 290/4.

وفي سنة 902هـ/ 1497م حدث نزاع بين أمير المحمل المصري وأمير المحمل الشامي، وسببها: أن نفرًا من المحمل المصري أخذوا إبلاً فاعترضهم رجالٌ من المحمل الشامي ودار قتال بين الطرفين، وذكر ابن فهد سببًا آخر وهو أن بعض الحجاج طلبوا دينا لهم من الآخرين، فحدثت الخلافات التي أدت إلى القتال، ووصل الخبر إلى أمير الحج المصري بمقتل القواس فعزم على الخروج بالسلاح، فجاء شاهين الجمالي[81] وبقي عنده حتى زال غضبه، ثم أرسل أمير الحج المصري مماليكه وخدمه إلى أمير الحج الشامي ودخلوا عليه وضربوه وأهانوه وقطعوا ثيابه، وانتهى الوضع بذلك.[82]

6.4. الصراعات بين الحجاج:

ينتج عن تجمع الحجاج من جنسيات مختلفة وبأعداد هائلة حدوث صراعات؛ لاختلافات العادات والتقاليد ووجهات النظر أو الجهل أو عدم الاهتمام بالآخرين، ففي سنة 724هـ/ 1324م بلغ عدد الحجاج من بلاد التكرور[83] خمسة عشر ألف حاج وحدث صراع بين مجموعة من حجاج التكرور والترك في المسجد الحرام ورفعت السيوف، ومن الطبيعي أن يحدث هلع وخوف وارتباك وإرهاب وهروب من المسجد الحرام، وقد تدارك أمير التكرور موسى بن أبي بكر بن أبي الأسود هذا الصراع فأشار لجماعته بالتوقف والكف عن القتال، فأطاع التكرور أميرهم وأدخلوا أسلحتهم وهدأت أحوال المصلين.[84]

والحقيقة أن سبب هذا الصراع نتج عن عدم فهم بعض حجاج التكاررة لبعض الأمور لاسيما وأن اختلاف اللغة ربما أثر على فهم النظام.

ويذكر الجزيري حادثة حصلت في سنة 898هـ/ 1493م أدت إلى نشوب الصراع بين الحجاج ارتفاع الأسعار في موسم الحج، ووصل الأمر إلى أن نهب الشاميون جملة من الأرقاء وتخلف كثير من الحجاج؛ لعدم مقدرتهم على دفع الكراء ولهرب المسؤول بعد أخذ الكراء، بسبب غلاء الأسعار، ونتج عن تخلف الحجاج انتشار الأمراض وضاقت الطرق، وأصاب المجتمع المكي الأذى من تخريب وسرقة.[85]

7. جهود الدولة في إدارة الأوضاع الأمنية والعسكرية في موسم الحج

كانت آثار الجرائم مؤثرة على الحاج وأسرته وعلى الدولة والمجتمع على حد سواء، ولذلك اهتم أكثر سلاطين دولة المماليك بإدارة شؤون مكة المكرمة بحنكة وحزم، والتروي في اتخاذ القرارات الصارمة عندما تحدث الخلافات بين أمراء مكة. وفي المقابل كان هناك الكثير من أمراء مكة قد تميزوا بالعدل وحسن التدبير، وتصريف الأمور بشكل مناسب أثناء حدوث المشاكل أو عند وقوع الجرائم كما سيأتي لاحقًا. مايلي الإجراءات السياسية والعسكرية والإدارية لتحقيق أمن الحجاج وسلامتهم:

- شروط تعيين الأمير: كانت السلطة المملوكية تطلب من الأمير الذي يتم تعينه على إمارة مكة أن يؤدي القسم وفيه تأمين الحجاج وتسهيل حجهم وتوفير الأمن الغذائي حتى يغادروا مكة، وقد حلف الشريف محمد بن حسن أبو نمي سنة 681هـ/ 1282م للسلطان قلاوون بقوله: ".. وأن يسهل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمين وأن يحرس الحاج ويؤمنهم في سربهم..".[86] وعندما تم تعيين الشريف رميثة بن أبي نمي سنة 731هـ/ 1331م نص الحلف بقوله: "والق وفد الله في البر والبحر بالحسنى؛ فهم أضيافه، وأمن الحج ليتم نسكه وطوافه..".[87] ومن خلال مراسيم التعيين يتبين لنا مدى حرص واهتمام السلاطين بأمر الحجاج وتوفير

(80) الجزيري، الدرر الفرائد، 473/1.
(81) شاهين الجمالي: ولد سنة 838هـ استقر في مشيخة الخدام بالمدينة، له أعمال في عمارة المسجد الحرام. السخاوي، الضوء اللامع، 293/3.
(82) ابن فهد، بلوغ القرى، 655/2.
(83) بلاد التكرور: بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 38/2. وهي حاليا بلاد مالي. محمد العبودي، سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور، ص9.
(84) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 204/4؛ الفاسي، شفاء الغرام، 295/2؛ الفاسي، العقد الثمين، 684/3؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 148/6؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 394/1.
(85) الجزيري، الدرر الفرائد، 479/1.
(86) المقريزي، السلوك، 157/2.
(87) القلقشندي، صبح الأعشى، 231/12؛ الغازي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، 193/3.

كافة السبل؛ لتحقيق الأمن السياسي والأمن الغذائي والأمن الاجتماعي والنفسي والأمن العقائدي؛ مما سيكون سبباً في كثرة وفود الحجاج، وإذا تحققت أنواع الأمن المختلفة استطاع الحاج أن يتم عمرته وحجه على أكمل وجه.

- تخصيص قوة عسكرية في موسم الحج بقيادة أحد الأمراء: ومهمتها المرابطة في مكة؛ للمحافظة على النظام وأمن الحجاج، ولعل من أهم الأسباب التي دعت السلاطين إلى اتخاذ هذا الإجراء هو تعدد الصراعات بين الأشراف الذي يصل إلى جرائم القتل والنهب والسلب. وقد أرسلت التجاريد العسكرية على سبيل المثال لا الحصر في سنة 704هـ/ 1305م، وسنة 712هـ/ 1312م، وفي سنة 715هـ/ 1315م، وسنة 717هـ/ 1317م، وأيضاً في سنة 720هـ/ 1320م، وسنة 831هـ/ 1428م،[88] وسنة 833هـ/ 1430م.[89] ويتضح للباحث أن تلك التجاريد العسكرية وغيرها كانت تخرج برسم من السلطة المملوكية عندما تشعر أن الحالة الأمنية في مكة تستدعي ذلك، ومهمة التجاريد: حفظ الأمن ورعاية الحجاج، وتطبيق نظام الدولة.
- وضع قانون منع حمل السلاح في موسم الحج في مكة والمدينة: لأنه يكون سببًا في حدوث الجرائم الجنائية، وقد أمر السلطان محمد بن قلاوون بهذا التشريع سنة 710هـ/ 1310م،[90] وتحدث الجرائم الشنيعة إذا لم يطبق هذا القانون، فقد حدث قتل مروع سنة 817هـ/ 1414م بسبب رفض هذا القانون من بعض غلمان القواد العمرة.[91]
- إبطال المكوس: فقد كانت السلطة المملوكية تكتب المراسيم السلطانية بمنع فرض المكوس التي يبتدعها بعض من الذين يتولون إمارة مكة، وكانت تفرض على التاجر والحاج،[92] وقد كانت السلطة المملوكية تدفع أحياناً مقابل عدم فرض المكوس في موسم الحج على الحاج كما فعل السلطان بيبرس (658هـ/ 676هـ) عندما خصص مبلغ عشرين ألف درهم لشريف مكة وشريكه.[93] وقد ألغى الأمير حميضة وشريكه الأمير رميثة بعض المكوس لمدة عامين تبدأ من سنة 703هـ/ 1305م إسهامًا وتعاونًا في تحقيق العدل.[94] وعندما حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 719هـ/1319م أبطل جميع المكوس وعوض أمير مكة بإقطاعات في مصر والشام.[95]
- عزل أمير مكة: كانت السلطة المملوكية تتخذ أمر عزل شريف مكة إذا لم يحسن إدارة الحج، ففي سنة 760هـ/ 1359م عزل السلطان المملوكي الأمير ثقبة وشريكه عجلان؛ لكثرة الاضطرابات التي حدثت في موسم الحج.[96] وفي سنة 789هـ/ 1387م عزل السلطان برقوق الأمير عنان بن مغامس للمظالم التي اقترفها.[97] وعزل الأمير حسن ابن عجلان 812هـ/ 1409م لسوء إدارة أمور الحج ومبالغته في فرض الضرائب ومصادرة أموال التجار.[98] واستخدمت السلطة المملوكية القوة في عزل الأمير بركات بن محمد سنة 906هـ/ 1501م.[99]
- حسن إدارة الحج من بعض أمراء مكة: اتصف الأمير عجلان بن رميثة (747-777هـ) بحسن التصرف والسياسة والعدل وضبط الأمور؛ مما ساعد على ازدهار الحركة التجارية وقدوم التجار والحجاج.[100] وأما الأمير حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي (798-829هـ) فقد نجح في جذب التجار في بعض سنوات حكمه؛ لا سيما عندما وفر الأمن للحاج والتاجر، واهتم بحماية السلع والبضائع، وتيسير كافة المصالح.[101] واتصف الأمير أبو القاسم[102] بالحزم والقدرة على إدارة الحشود في الحج وحسن التدبير، فقد قبض على ابنه زاهر الخارج عليه وسلمه لعسكر المماليك، ولم يرض بالصلح حتى جعل ابنه يتعهد بالمحافظة على البلاد وعدم إثارة الاضطراب والفوضى.[103] وكان الشريف محمد بن بركات يتصف بالقوة والحكمة ورجاحة العقل، واستطاع أن يدير موسم الحج بيسر وسهولة، وذلك من خلال قوة شخصيته وحسن تصرفه.[104]
- الأمن الغذائي: كانت الأزمات الاقتصادية تعصف بأهل مكة؛ لعدم وجود الموارد الاقتصادية الكافية، وتزداد الأزمات في موسم الحج فكان سلاطين المماليك يقومون بإغاثة أهل مكة والمجاورين والفقراء والحجاج، فمن ذلك: ما فعله السلطان الظاهر بيبرس سنة 667هـ/ 1269م فقد تصدق بمال عظيم على أهل الحرمين والمجاورين.[105] وفي سنة 694هـ/1295م حج جمع من الأمراء من مصر والشام والأدر السلطانية[106] ووزعت الصدقات للفقراء والمجاورين والحجاج ونعم أهل الحرمين برفق عظيم منهم.[107] ويذكر ابن فهد أن أمير العرب مهنا بن عيسى[108] حج سنة 697هـ/ 1298م وتصدق بالكثير وأطعم العيش لكافة الناس وكفل المنقطعين.[109] وأما أمير الحج المصري بكتمر الجوكندار[110] فقد قدم الكثير من العطايا والصدقات عندما حج سنة 700هـ/1301م واتسعت عطاياه إلى خارج مكة.[111] وفي سنة 703هـ/1304م حج الأمير سلاّر[112] وحمل معه أنواعًا من الأطعمة والقمح بأوزان كثيرة، وسد بها ذوي الحاجات، وفرق على المجاورين والفقراء والحجاج.[113] وعندما حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون في المرة الثانية سنة 719هـ/1319م أغدق الصدقات والعطايا للمساكين والفقراء والمجاورين والحجاج،[114] وكرر فعل الخير هذا عندما حج في المرة الثالثة سنة 732هـ/ 1332م.[115] وفي سنة 739هـ/1339م حج الأمير بشتك الناصري[116] أعطي المجاورين والفقراء وغيرهم أموالاً كثيرة وفرق الأغلال لسد حاجاتهم من الأطعمة، ويذكر ابن فهد أنه لم يبق أحد في مكة وما حولها إلا وناله من ماله.[117] وأرسلت السلطة المملوكية الغلال سنة 821هـ/1418م إلى مكة المكرمة؛ لتؤمن الغذاء للفقراء والحجاج، وانتفع الحاج وسعد الناس في هذا الموسم.[118] واهتم الأمير جركس الخليلي[119] بالأمن الغذائي في بلاد الحرمين سنة 787هـ/1385م فأرسل الكثير من القمح؛ ليعمل خمسمائة رغيف كل يوم تفرق على من يطلب والفقراء وغيرهم فانتفع الناس وعمّ الخير بين الحجاج.[120] ويذكر الجزيري أن أمير العربان في بني هوارة[121] الشيخ داود بن عمر[122] حج سنة 893هـ/1488م وتصدق لأهل مكة بألف دينار، وانتفع الفقراء والمجاورون وغيرهم من هذه الصدقة.[123] وفي سنة 869هـ/ 1491م وصلت الأموال من العثمانيين لأهل مكة والمدينة مما أدى إلى انخفاض الأسعار ورخصت المواد الغذائية وباتت في متناول الحاج والمجتمع المكي مع كثرة أعداد الحج.[124] ونستنتج مما سبق أن كافة الموارد التي تصل مكة لا تكفي لسد الحاجة، وخاصة إذا كثرت ركوب الحج؛ لذلك كان الخير يصل إليها من كل مكان وخاصة من السلطة المملوكية التي تخصص الأعطيات والصدقات، ومن بعض الأمراء والتجار، من أجل تحقيق الأمن الغذائي لأهل مكة من الفقراء والمجاورين وعامة الناس والحجاج. ونلاحظ مما سبق أن الأمن الغذائي كان مستمرًا في عصر الدولة المملوكية (648-923هـ/ 1250-1517م) وذلك لأهمية مكة في قلوب المسلمين، ولقلة مواردها من ناحية أخرى، والبحث عن الأجر والثواب أيضًا. وخلاصة القول فإن الأمن الغذائي له دور مهم في التخفيف من حدة الجرائم، وأقصد بذلك جرائم السرقة والنهب والسلب للمواد الغذائية من الحجاج أو التجار، وإذا عمّ الخير قلّ الشر.

8. آثار الجرائم الجنائية على الحاج والمجتمع

خلفت الجرائم الجنائية الكثير من الآثار على الحاج والأمير والحكومة والأرض والسكان، وفيما يلي نتعرف على النواحي المختلفة لتلك الآثار:

(88) السلوك، 2/ 383، 488، 505، 526، 3/ 25، 7/ 178.
(89) ابن فهد، إتحاف الورى، 4/50.
(90) ابن تغري، النجوم الزاهرة، 9/172.
(91) ابن فهد، إتحاف الورى، 3/ 516.
(92) السنجاري، منائح الكرم، 3/69.
(93) الفاسي، العقد الثمين، 1/124.
(94) الفاسي، العقد الثمين، 1/345.
(95) الغازي، إفادة الأنام، 2/691.
(96) الفاسي، العقد الثمين، 2/227.
(97) الفاسي، العقد الثمين، 1/334.
(98) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، 3/56.
(99) السنجاري، منائح الكرم، 3/108.
(100) الفاسي، العقد الثمين، 5/189-197.
(101) المقريزي، السلوك، 5/377.
(102) أبو القاسم بن حسن بن عجلان: أمير مكة. كان بمصر، وخلع عليه صاحب مصر بالإمارة، فدخل مكة سنة 846هـ وحكمها إلى سنة 850هـ فعزل. الفاسي، شفاء الغرام، 2/359.
(103) ابن فهد، إتحاف الورى، 4/ 207؛ السنجاري، منائح الكرم، 3/41.
(104) السخاوي، الضوء اللامع، 7/ 150- 153.
(105) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 254؛ الفاسي، شفاء الغرام، 2/289.
(106) الأدر السلطانية: موكب أو ركب حريم السلطان. ابن تغري، النجوم الزاهرة، 8/57.
(107) ابن فهد، إتحاف الورى، 3/127.
(108) مهنا بن عيسى آل فضل: أمير بادية الشام، تولت قبيلته أحياء العرب وحفظ الطرق بين الشام والعراق منذ الدولة الأيوبية. الزركلي، الأعلام، 7/316.
(109) إتحاف الورى، 3/130.
(110) بكتمر الجوكندار: كان نائب صفد وكان السلطان الناصر يجعله نائبا عنه في مصر. البداية والنهاية، 14/53.
(111) إتحاف الورى، 3/132؛ النجوم الزاهرة، 8/146.
(112) الأمير سلاّر: نائب السلطة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. النجوم الزاهرة، 8/169.
(113) شفاء الغرام، 2/293؛ إتحاف الورى، 3/138؛ السلوك، 2/373.
(114) الفاسي، شفاء الغرام، 2/294؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 3/ 165؛ الغازي، إفادة الأنام، 2/691.
(115) إتحاف الورى، 3/199.
(116) بشتك الناصري: من أكابر الأمراء في عهد السلطان محمد بن قلاوون. النجوم الزاهرة، 9/165.
(117) ابن فهد، إتحاف الورى، 3/217.
(118) الجزيري، الدرر الفرائد، 1/439.
(119) جركس الخليلي: أمير ألف، بترقية من السلطان برقوق سنة 778هـ. ابن تغري، النجوم الزاهرة، 11/180.
(120) ابن فهد، إتحاف الورى، 3/348.
(121) هوارة: بفتح الهاء وتشديد الواو وفتح الراء المهملة بعد الألف وهاء في الآخر وهم بنو هوارة بن أوربغ بن برنس بن بربر، ديارهم من البحيرة ومن الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة. القلقشندي، صبح الأعشى، 1/418.
(122) داود بن عمر: أمير عربان بني هوارة من أهل الخير وأكثر من الصدقات لأهل الحرمين حين حج. السخاوي، الضوء اللامع، 5/247.
(123) الجزيري، الدرر الفرائد، 1/476.
(124) الجزيري، الدرر الفرائد، 1/477.

8.1. الناحية الدينية والعلمية:

كانت الصراعات التي تحدث في مواسم الحج لها آثار بالغة على الجانب الديني للحجاج، فقد تعطل الحاج عن إكمال نسك الحج أو لا يكمل أداء نسك الحج مثل طواف الوداع، أو ينقص في الواجبات مثل الوقوف بعرفة أو غير ذلك، فلو قتل الحاج أو كسر أو جرح أو خاف على نفسه فإنه سيقصر في مناسك الحج، ويحاول أن ينجو بنفسه ويعود سالمًا لبلاده، فكل الجرائم التي كانت تحدث في مواسم الحج تسبب خللًا في أداء مناسك الحج. فمن ذلك ما حدث في موسم الحج سنة 751هـ/ 1350م عندما حدث قتال بين الركب المصري والشامي ضد الركب اليماني في منى، نتج عنه قتل مجموعة من الحجاج وهروب البعض من منى دون إكمال مناسك الحج.[125] وفي سنة 743هـ/ 1342م دار صراع في عرفات أدى إلى مقتل عدد كبير من الحجاج وهروب البعض من عرفات ولم يكملوا نسكهم.[126] وعندما تكون الأوضاع مستقرة في مكة تسير كل أمور الحجاج بسلام ويؤدي الحاج نسكه على أكمل وجه؛ لوجود الأمن والاستقرار.

وكانت الآثار السلبية أيضاً على الناحية العلمية، فقد تأثر المجاورون وطلاب العلم وامتنعوا من حضور حلقات الدروس في المسجد الحرام عند حدوث الصراعات والقتل والمنازعات، وقد كان المسجد الحرام يعج بحلقات العلم مثل حلقة القرآن الكريم وعلومه وحلقة الحديث الشريف وحلقة الفقه وأصوله وعلم المواريث وحلقة اللغة العربية وحلقة التاريخ الإسلامي، كل تلك الحلقات تحتاج إلى تفرغ وهدوء واستقرار، وعند حدوث أي صراع أو نزاع في المسجد الحرام كانت حلقات العلم تختفي وطلاب العلم والمجاورون يغيبون، ويصف الرحالة محمد العبدري الذي زار مكة سنة 689هـ/ 1290م وشاهد حدثًا مضطربًا ونزاعًا حول المسجد الحرام حال العلم في تلك الأيام بقوله: "وبالجملة فقد ضعف العلم بتلك البلاد؛ لضعف العيش بها، والناس مع الدنيا وصاحبها، والحكم لله مدبر الأمور".[127]

وأما إذا كانت الأحوال مستقرة فإن سير العملية التعليمية يكون عاديًا، وقد تحدثت المصادر المختلفة عن كثرة المدارس والعلماء في مكة.[128]

8.2. الناحية السياسية:

تأثرت النواحي السياسية الداخلية والخارجية بسبب الصراع الذي كان يحدث في مواسم الحج؛ مما أدى إلى زعزعة الأمن وفقد الاستقرار. والصراع أيًا يكن فهناك الصراع الذي حدث بين أمراء مكة للتنافس على السلطة أو النزاع الذي كان بين أمراء الحج أو الصراع الذي كان بين الحجاج أو غير ذلك من النزاعات التي حدثت في مواسم الحج خلال العصر المملوكي، وجميع تلك الصراعات كان لها تأثير على السياسة الداخلية في الدولة، وربما تطورت إلى خارج الدولة وتصبح بين الدول، كما حصل بين الدولة الإلخانية ودولة المماليك في التنافس على السيطرة على الحرمين، ومثل ذلك حصل مع اليمن والدولة المملوكية.

وتفقد مكة المكرمة والمشاعر المقدسة الأمن أثناء حدوث الصراعات والتي تؤدي إلى القتل والنهب والبغض والعداوة، سواء بين الأمراء أو مع السلطان، وتسوء العلاقة بين الحكومة وأمير مكة؛ مما جعل بعض أمراء مكة يلجؤون إلى الدولة الإلخانية في العراق أو الدولة الرسولية في اليمن كما مر بنا سلفًا.

وإذا استقرت الأوضاع السياسية في إمارة مكة عمّ الأمن وصلحت كل أحوال الحاج، ولربما تطول مدة بقاء الحجاج في مكة أكثر من المدة المقررة كما حصل سنة 674هـ/ 1275م إذ طالت مدة بقاء ركب الحاج المصري.[129]

(125) ابن كثير، البداية والنهاية، 237/14؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 408/1.
(126) المقريزي، السلوك، 389/3؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 691/3.
(127) العبدري، رحلة العبدري، ص417.
(128) صالح يوسف معتوق، علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، ص370-388.
(129) الفاسي، شفاء الغرام، 2/ 289؛ المقريزي، السلوك، 2/ 95؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 1/ 380.
(130) الجزيري، الدرر الفرائد، 1/ 393.
(131) الملك المجاهد: (706 - 764 هـ) علي بن داود بن يوسف الرسولي من ملوك الدولة الرسولية، تولى الحكم سنة 721هـ، وحج سنة 742هـ وحاول كسوة الكعبة فمنعه أمير الركب المصري، وحج سنة 751هـ وبلغ الركب المصري أنه عازم على نزع سلطة الحجاز من مصر، فقبضوا عليه ونقل إلى مصر وبقى 14 شهرا ثم عاد إلى اليمن. ابن حجر، الدرر الكامنة، 58/4.
(132) الفاسي، العقد الثمين، 193/1؛ المقريزي، السلوك، 176/4؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، 250/1.
(133) جلبة: من جلب، والجلب سوق الشيء من موضع إلى آخر، والجلب، ما جلب من خيل وإبل ومتاع. ابن منظور، لسان العرب، 268/1.

وأيضًا شعر الحجاج بالأمن وعمت عليهم الطمأنينة في سنة 720هـ/ 1320م فأدوا مناسكهم دون تقصير وأحيوا السنن النبوية، ويصف الجزيري وضع الحجاج بقوله: "وجاء إلى مكة خلق كثير بسبب عدل عُطيفة".[130]

8.3. الناحية الاقتصادية:

تأثر الجانب الاقتصادي بالمشاكل السياسية التي حدثت في موسم الحج فنتيجة لما حصل لحاكم اليمن الملك المجاهد [131] عندما قُبِض في مكة منع التجار من الذهاب إلى مكة سنة 755هـ/ 1354م، وقد أدى هذا الحصار الاقتصادي إلى ارتفاع الأسعار وقلة المؤن.[132] كما تأثر الجانب الاقتصادي بشكل كبير بسبب الجرائم الجنائية وأعمال النهب والسرقة والاعتداء، فقد استولى سند بن رميثة على جلبة[133] لتاجر مكة وكان فيها مال عظيم سنة 763هـ/ 1362م، وأدى ذلك إلى نقص كبير في موسم ذلك العام.[134] وفي رواية تفرد بها ابن حجر أن العلاقات التجارية تأثرت بين اليمن والحجاز، بسبب ما حدث للركب اليمني مع الأشراف من خلاف مع أمراء مكة سنة 784هـ/1382م، فمنع حاكم اليمن التجار من نزول ميناء جدة، وأمرهم بالتوجه إلى سواكن[135] مما أدى إلى ارتفاع الأسعار ونفاذ المؤن، وبعد شفاعات أرسلها أمير مكة أحمد بن عجلان عفا ورضي حاكم اليمن وعادت السفن إلى ميناء جدة.[136] وفي حادثة سنة 789هـ/ 1387م تعرضت أموال التجار القادمين من اليمن وتجار الكرام إلى النهب من قبل آل عجلان وعبيدهم، وقاموا بنهب مستودع الغلال الخاص بأمير الركب المصري؛ مما أثر ذلك في رفع الأسعار وقلة المؤن في موسم الحج، وعندما تم فك حصار قافلة بجيلة[137] التجارية ووصلت إلى المشاعر المقدسة رخصت الأسعار واستقرت الأوضاع إلى أن رحل الحجاج من مكة، ثم عاد الصراع بين الأشراف ونهبوا أموال التجار في جدة وسيطروا على بعض الطرق وانعدم الأمن.[138] وفي موسم سنة 817هـ/ 1414م أدب أمير الركب المصري بعض غلمان القواد بالسجن، فما كان من جماعة الغلمان إلا أن قاموا بانتهاك حرمة المسجد الحرام؛ مما جعل بعض العامة يقومون بنهب الأسواق وتعرض الحجاج للسلب أيضًا، وارتفعت الأسعار، ثم تدخل أمير مكة حسن بن عجلان وأصلح الأوضاع مع أمير الركب المصري وأخرج من كان في السجن، وعاد الأمن واستقرت الأحوال.[139] وحصل استقرار وهدوء وعمّ الأمن في موسم حج سنة 819هـ/ 1416م مما أدى إلى انخفاض كبير في أسعار الحنطة واللحم والتمر.[140]

8.4. الناحية الاجتماعية:

أثرت الجرائم الجنائية على الفرد والمجتمع على حد سواء، فالقتل الذي حدث في مواسم الحج سواء أكان في مكة أو في المشاعر المقدسة كان يتسبب في فقد الأسرة للأبوين أو أحدهما، وبالتالي يتغير وضع الأسرة ويحدث تفكك وتشتت وفقر، وربما يصل الأمر إلى عزلة أفراد الأسرة عن المجتمع والشعور بالخوف الذي يجعله لا يقدم العطاء المطلوب داخل المجتمع، وقد يؤثر القتل على الجماعة فيجعلها تعتزل المجتمع أو تتمرد عليه. كما أن جرائم القتل تحدث الفوضى والارتباك داخل المجتمع، ويكون له تأثير كبير على أداء أركان الحج وتعطيل الشعائر الدينية، فالحاج عندما يرى ما يحدث من قتل يدخل الخوف قلبه. وفي الجانب الآخر يستغل ذوي النفوس الضعيفة هذه الفوضى وتبدأ عملية السلب والنهب، كما مر بنا في فتنة عام 761هـ/ 1360م بين أمراء مكة والترك.[141]

ويزداد الأمر سوءًا إذا وقع الصراع بين أمراء مكة أنفسهم، كما حصل في عام 789هـ/ 1387م إذ دب الخوف في نفوس الحجاج وسكان مكة

(134) الفاسي، العقد الثمين، 5/ 196؛ شفاء الغرام، 2/ 245؛ السخاوي، الضوء اللامع، 429/1؛ السنجاري، منائح الكرم، 2/ 373.
(135) سواكن: بلد مشهور على ساحل بحر الحجاز قرب عيذاب ترفأ إليه سفن الذين يقدمون من جدّة، وأهله بجاه سود نصارى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 276/3.
(136) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، 263/1.
(137) بجيلة: تقع بين عقبة تهامة وبلدة تربة، ومن أشهر أوديته عردات، وتبعد بجيلة عن الطائف 140كم تقريباً، وحالياً ومن أشهر القبائل التي تقطنها الآن قبيلة بني مالك في السراة. معجم البلدان، 99/4؛ سعيد المالكي، مختصر تاريخ نسب بجيلة، ص145.
(138) ابن فهد، إتحاف الورى، 362/3؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 422/1.
(139) الفاسي، العقد الثمين، 350/1؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 517/3؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 435/1.
(140) ابن فهد، إتحاف الورى، 535/3؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 437/1.
(141) الفاسي، شفاء الغرام 300/2؛ ابن فهد، إتحاف الورى، 282/3؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 413/1.

واضطربت الأوضاع آنذاك، وتعددت أعمال السلب والنهب في مواضع مختلفة، وتؤثر السرقة أيضًا على الحاج وغيره فإذا فقد ممتلكاته ربما لا يجد الأكل أو المال الذي يجعله يكمل حجه.[142]

وفي سنة 909هـ/ 1503م حج المسلمون وهم خائفون وتعرضوا للنهب والسلب، ولم يسلم الفقراء من تلك الجرائم، وكان ذلك بسبب التنافر بين الأمير بركات بن محمد[143] وأخيه حميضة بن محمد[144] الذي خلف بعض جرائم القتل في مكة من قبل عبيدهم[145] وتسبب ذلك في دخول الرعب والخوف في قلوب الحجاج، خاصة عندما رأوا أن الأمير بركات وأخاه ومعهم العبيد في منى. ولم يحج المؤرخ ابن فهد بسبب الخوف حيث قال: "... وكنا ممن تخلف، وفي الله الخلف.."[146].

وخلاصة القول فإن جرائم القتل غالبًا تجلب العديد من المشكلات الاجتماعية مثل: الفوضى والاضطراب والسرقة والنهب والسلب.

9. الخاتمة

- كشفت الدراسة أنَّ كل المجتمعات البشرية تحدث فيها الجرائم الجنائية حتى في أطهر بقاع الأرض مكة المكرمة؛ وذلك نتيجة الصراعات والخلافات التي تحدث بين البشر، أو الطمع أو التمرد، ولم تقدر حرمة الأرض المقدسة في قلوب المجرمين.
- ظهرت الفتن السياسية في مكة بسبب الطمع في الحكم؛ مما تسبب في وقوع الجرائم الجنائية، وجعل السلطة المملوكية تتدخل في تولية أمير مكة أو تعزله إذا لم يكن أهلاً لذلك، وكانت السلطة المملوكية تتقصى أخبار الأمراء في مكة باستمرار لكي تحافظ على الاستقرار والأمن.
- كان لأمير الركب المصري سلطة في تولية أمير مكة أو عزله إذا كان يحمل المرسوم السلطاني، وقد تميز معظم الأمراء بالهدوء وحسن التصرف في التعامل مع أمراء مكة.
- بينت الدراسة أن بعض سلاطين المماليك استخدموا القوة والحزم تجاه الجرائم الجنائية التي كانت تحصل من قبل أمير مكة أو القواد العمرة أو العبيد، وفرضت العقوبات على مقترف الجريمة.
- أثبتت الدراسة أن قدوم الحجاج من عدة أقطار مختلفة من بلاد المسلمين واختلاف اللغات كان سبباً في حدوث بعض الصراعات في المشاعر المقدسة.
- حاولت الدولة المملوكية إدارة الحج بعدة طرق واستخدمت أساليب مختلفة مع أمراء مكة حتى تسير أمور الحج على أكمل وجه ويستطيع الحاج اكمال جميع مناسك الحج.
- أصبح إرسال التجاريد العسكرية من قبل السلطة المملوكية أمرًا مألوفًا في كل سنة؛ لحفظ الأمن والنظام ومراقبة الأسعار.
- سعى بعض سلاطين المماليك إلى إبطال المكوس؛ لإدراكهم أنها كانت سببًا مباشرًا في حدوث الجرائم الجنائية في مواسم الحج.
- منع دخول السلاح بأنواعه إلى الأراضي المقدسة؛ لإدراكهم أنه كان سببًا مباشرًا في حدوث الجرائم الجنائية في مواسم الحج.
- كان بعض أمراء مكة يقومون بجهود ملموسة في إدارة الحج بأحسن الطرق، مثل إقامة العدل وحسن القيادة وتوفير الأمن للتاجر والحاج.
- اهتمت السلطة المملوكية وبعض الأمراء والتجار بالأمن الغذائي لأهل مكة والمجاورين والفقراء والحجاج، فكانوا يرسلون الغلال والقمح والأموال لينعم بها الناس خاصة في موسم الحج؛ وتقلّ جرائم السرقة والنهب والسلب في مكة والمشاعر المقدسة.

نبذة عن المؤلف

يوسف بن نصرة الله محمد

قسم العلوم الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 00966505317376،
myousef@hotmail.com

أستاذ مساعد في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بقسم العلوم الاجتماعية، جامعة طيبة، رسالة الماجستير بعنوان: الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ضد الصليبيين حتى نهاية الدولة الأيوبية، وأما رسالة الدكتوراه فكانت بعنوان: استراتيجية الظاهر بيبرس العسكرية في مقاومة الاستعمار الصليبي. وللمؤلف عدد من البحوث المنشورة داخل وخارج المملكة العربية السعودية. وحالياً يعمل في القسم ورئيس مجموعة من اللجان منها: رئيس وحدة الإرشاد الطلابي، رئيس لجنة الجداول والاختبارات، وعضو في لجنة الجودة.

المراجع

ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبد الله. تحقيق: رانكة، بيرند. (1982). *كنز الدرر وجامع الغرر*. مصر: مطبعة عيسى البابي.

ابن تغري بردي، يوسف. (1963). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. مصر: دار الكتب.

ابن تغري بردي، يوسف. تحقيق: أمين، محمد محمد. (1984). *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن حبيب، حسن عمر الحلبي. تحقيق: أمين، محمد محمد. (2014). *درة الأسلاك في دولة الأتراك من سنة 648-680هـ*. مصر: دار الكتب القومية.

ابن حجر العسقلاني، أحمد علي. تحقيق: حبشي، حسن. (1969). *إنباء الغمر بأبناء العمر*. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ابن حجر العسقلاني، أحمد علي. تحقيق: ضان، محمد. (1972). *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*. الطبعة الثانية. الهند: دائرة المعارف العثمانية.

ابن شاهين الظاهريّ، عبد الباسط أبي الصفاء. تحقيق: تدمري، عمر. (2002). *نيل الأمل في ذيل الدول*. لبنان: المكتبة العصرية.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين. تحقيق: الخويطر، عبد العزيز. (1976). *الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر*. السعودية: دون بيانات الناشر.

ابن فهد، عمر الهاشمي. تحقيق: المحلبدي، عليان. (2001). *بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى*. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

ابن فهد، عمر الهاشمي. تحقيق: باز، عبد الكريم. (1988). *إتحاف الورى بأخبار أم القرى*. السعودية: مركز إحياء التراث الإسلامي.

ابن قدامة، عبد الله أحمد. (1968). *المغني*. مصر: مكتبة القاهرة.

ابن كثير، إسماعيل عمر. (1986). *البداية والنهاية*. سوريا: دار الفكر.

ابن منظور، محمد مكرم. (1994). *لسان العرب*. الطبعة الثالثة. لبنان: دار صادر.

أبو زهرة، محمد. (1998). *الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي*. مصر: دار الفكر العربي.

الألباني، محمد ناصر الدين. (2001). *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*. السعودية: مكتبة المعارف.

البلادي، عاتق. (2010). *معجم معالم الحجاز*. السعودية: دار مكة.

الجزيري، عبد القادر محمد. تحقيق: إسماعيل، إسماعيل محمد. (2002). *الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة*. لبنان: دار الكتب العلمية.

الحموي، ياقوت عبد الله. (1995). *معجم البلدان*. الطبعة الثانية. لبنان: دار صادر.

الخزرجي، علي الحسن. (1983). *العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية*. اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمني.

الزركلي، خير الدين محمود. (2002). *الأعلام*. الطبعة الخامسة عشر. لبنان: دار العلم.

السبيعي، فرج محمد. (2008). *الدولة الرسولية في عصر السلطان المجاهد علي بن داود*. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

السخاوي، محمد عبد الرحمن. (1992). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. لبنان: دار الجيل.

السنجاري، علي تاج الدين. تحقيق: المصري، جميل. (1998). *منائح الكرم في أخبار مكة والبيت ووُلاة الحرم*. السعودية: جامعة أم القرى.

الطبري، علي عبد القادر. تحقيق: الجمال، أشرف. (1996). *الأرج المسكي في التاريخ المكي*. السعودية: المكتبة التجارية.

طرطور، شعبان ربيع. (1987). *الدولة الجلائرية*. مصر: دار الهداية.

طقوش، محمد سهيل. (2007). *تاريخ المغول العظام والإيلخانيين*. لبنان: دار النفائس.

العبدري، محمد محمد. تحقيق: كردي، علي. (2005). *رحلة العبدري*. الطبعة الثانية. سوريا: دار سعد الدين.

العصامي، عبد الملك حسين. تحقيق: أحمد، عادل. (1998). *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*. لبنان: دار الكتب العلمية.

العمايرة، محمد عبد الله. (2010). *المعجم العسكري المملوكي*. الأردن: دار كنوز المعرفة.

الغازي، عبد الله محمد. تحقيق: ابن دهيش، عبد الملك عبد الله. (2009). *إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام*. السعودية: مكتبة الأسدي.

الفاسي، محمد أحمد. (2000). *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*. لبنان: دار الكتب

(142) ابن فهد، إتحاف الورى، 362/3؛ الجزيري، الدرر الفرائد، 422/1.
(143) بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان: أمير مكة، ولد بمكة وولي إمارتها بعد وفاة أبيه سنة 903-906هـ ثم حكم مكة ثانية سنة 908 هـ واستمر فيها إلى أن توفي سنة 931هـ. الفاسي، شفاء الغرام، 360/2.
(144) حميضة بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان: تولى إمرة مكة شريكاً مع أخيه سنة 909هـ وتوفي سنة 910هـ. السنجاري، منائح الكرم، 149/3.
(145) الجزيري، الدرر الفرائد 487/1؛ الغازي، إفادة الأنام، 349/3.
(146) ابن فهد، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى، 1023/2.

العلمية.

الفاسي، محمد أحمد. تحقيق: عطا، محمد عبد القادر. (1998م). *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*. لبنان: دار الكتب العلمية.

القلقشندي، أحمد علي. (1987). *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. سوريا: دار الفكر.

المالكي، سعيد. (1996). *مختصر تاريخ نسب بجيلة*. السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.

الماوردي، علي محمد. (2006). *الأحكام السلطانية*. مصر: دار الحديث.

مرزا، نواب معراج، احمد، (2003). *أطلس مدينة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة*. السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.

معتوق، صالح يوسف. (1987). *علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي*. رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

المقريزي، أحمد علي. تحقيق: عطا، محمد. (1997). *السلوك لمعرفة دول الملوك*. لبنان: دار الكتب العلمية.

ملياري، أشواق. (2009). *الأسواق في مدينة مكة المكرمة*. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

النويري، أحمد عبد الوهاب. (2002). *نهاية الأرب في فنون الأدب*. مصر: دار الكتب والوثائق القومية.

اليافعي، عبد الله أسعد. (1997). *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*. لبنان: دار الكتب العلمية.

اليمني، محمد علي. (1929). *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع*. مصر: مطبعة السعادة.

Ibn Aybak Al-Dawadari, A.A. (1982). *Kanz Aldarr Wajamie Algharr* 'Al-Durar Treasure And Al-Ghurr Mosque'. Egypt: Mutbaeat Eisaa Albabi. [in Arabic]

Ibn Fahd, O.A. (2001). *Bulugh Alquraa Fi Dhil 'lithaf Alwaraa Bi'akhbar 'Ami Alqura*. 'Am Alquraa, Makat Almukrimatu 'Reaching The Villages At The End of Al-Irwa's News Of Umm Al-Qura News'. Master's Dissertation, Jamieat, Saudi Arabia. [in Arabic]

Ibn Fahd, O.A. (1988). *'lithaf Alwaraa Bi'akhbar 'Am Alquraa* 'Al-Rai News in Umm Al-Qura News'. Saudi Arabia: Markaz 'Iihya' Alturath Al'iislami. [in Arabic]

Ibn Habib, H.E. (2014). *Darat Al'aslak Fi Dawlat Al'atrak Min Sanat 648-680hi* 'Dora Wire in The State of The Turks From The Year 648-680 AH'. Egypt: Dar Alkutub Alqawmiat. [in Arabic]

Ibn Hajar Al-Asqalani, A.A. (1972). *Aldarar Alkaminat Fi 'Aeyan Almyt Althaamnata* 'Durar Inherent in the Notables of The Eighth Hundred'. 2nd edition. India: Dayirat Almaearif Aleuthmaniat. [in Arabic]

Ibn Hajar Al-Asqalani, A.E. (1969). *Iinba Alghamar Bi'abna Aleamr* 'News of Immersion In Children of a Lifetime'. Egypt: Almajlis Al'aelaa Lilshuyuwn Al'iislamiat. [in Arabic]

Ibn Katheer, E.O. (1986). *Albidayat Walnihayatu* 'The Beginning and the End'. Syria: Dar Alfikr. [in Arabic]

Ibn Manzoor, M.M. (1994). *Lisan Alearab* 'Arabes Tong'. 3rd edition. Lebanon: Dar Sadr. [in Arabic]

Ibn Qudamah, A .A. (1968). *Almaghni* 'The Singer'. Egypt: Maktabat Alqahirat. [in Arabic]

Ibn Shaheen Al-Dhaheri, A.A. (2002). *Nil Al'amal Fi Dhil Alduwl* 'Gain Hope in The Tail of States'. Lebanon: Almuktabat Aleasriat. [in Arabic]

Abn Tughariy Birday, Y.A. (1984). *Almunahil Alsafyu Walmustawfaa Baed Alwafi* 'Al-Manhal Net And Fulfilled After Al-Wafi'. Egypt: Alhayyat Almisriat Aleamat Lilkitab. [in Arabic]

Abn Tughriy Birday, Y.A. (1963). *Alnujum Alzaahirat Fi Mulawk Misr Walqahirat* 'Bright Stars In The Kings Of Egypt And Cairo'. Egypt: Dar Alkutb. [in Arabic]

Abu Zahra, M. (1998). *Aljarimat Waleuqubat Fi Alfaqih Al'iislami* 'Crime and Punishment in Islamic Jurisprudence'. Egypt: Dar Alfikr Alearabi. [in Arabic]

Ibn Abd Al-Zahir, M. (1976). *Alrawd Alzzahir Fi Sirat Almalik Alzahr* 'Al-Rawd Al-Zahir in The Biography of The Apparent King'. Saudi Arabia: Dun Bayanat Alnaashir. [In Arabic]

Al'albani, M.N. (2001). *Silsilat Al'ahadith Alsahihat Washay' Min Faqihiha Wafawayidiha* 'The Chain of Authentic Hadiths And Some of their Jurisprudence and Benefits'. Saudi Arabia: Maktabat Almuearif. [in Arabic]

Albiladi, M. (2010). *Maejam Maealim Alhujazi* 'Dictionary of Hijaz Landmarks'. Saudi Arabia: Dar Makat. [in Arabic]

Al-Abdri, M.M. (2005). *Rihlat Aleabdri. Altibeat Althaaniatu* 'The Journey of Al-Abdri'. Syria: Dar Saed Aldiyn . [in Arabic]

Amayreh, M.A. (2010). *Almuejam Aleaskariu Almamluki* 'Mamluk Military Dictionary'. Jordan: Dar Kunuz Almuerifat. [in Arabic]

Aleisamii, A.H. (1998). *Samatu Alnujum Aleawalia Fi 'Anba' Al'awayil Waltawali* 'Al-Awali Stars Are Mentioned in The News of The Early And The Successive'. Lebanon: Dar Alkutub Aleilmiat. [in Arabic]

Al Fassi, M.A. (2000). *Shifa' Algharam Bi'akhbar Albalad Alharam* 'Healing Love With The News of The Sacred Country'. Lebanon: Dar Alkutub Aleilmiat. [in Arabic]

Al Fassi, M.A. (1998). *Aleaqd Althamiyn Fi Tarikh Albalad Al'amin* 'The Precious Decade In The History of The Faithful Country'. Lebanon: Dar Alkutub Aleilmiat. [in Arabic]

Al-Ghazi, A.M. (2009). *Iifadat Al'anam Bidhikr 'Akhbar Balad Allah Alharamu* 'Benefit of The People By Mentioning The News of The Sacred Country of God'. Saudi Arabia: Maktabat Al'asdi. [in Arabic]

Al-Hamwi, Y.A. (1995). *Muejam Albuldan* 'Glossary of Countries'. 2nd edition. Lebanon: Dar Sadr. [in Arabic]

Al-Jaziri, A.M. (2002). *Aldarar Alfarayid Almunazamat Fi 'Akhbar Alhaj Watariq Makat Almuezamati* 'The Unique Pearls Organized In The News of The Pilgrim And The Great Road To Mecca'. Lebanon: Dar Alkutub Aleilmiat. [in Arabic]

AlKhazraji, A.A. (1983). *Aleuqud Allawluiat Fi Tarikh Aldawlat Alrasuliati* 'Pearl Contracts in The History of The Apostolic State'. Yemen: Markaz Aldirasat Walbihwith Alyamani.

AlMaliki, S. (1996). *Mukhtasir Tarikh Nisab Bijaylati* 'A brief History of Pedigree Bjela'. Saudi Arabia: King Fahd National Library. [in Arabic]

Al-Maqrizi, A.A. (1997). *Alsuluk Limaerifat Dual Almulawk* 'Behavior To Know The States of The Kings'. Lebanon: Dar Alkutub Aleilmiat. [in Arabic]

Almawardi, A.M. (2006). *Al'ahkam Alsultaniatu* 'Royal Rulings'. Egypt: Dar Alhadith. [in Arabic]

Al-Nuwairi, A.A. (2002). *Nihayat Al'arb Fi Funun Al'adb* 'The End of The Gods In The Arts of Literature'. Egypt: Dar Alkutub Walwathayiq Alqawmiat. [in Arabic]

Al-Qalqashandi, A.A. (1987). *Sabh Al'aeshaa Fi Sinaeat Al'iinsha* 'It Became A Dinner In The Construction Industry'. Syria: Dar Alfikr. [in Arabic]

Al-Subaie, F.M. (2008). *Aldawlat Alrasuliat Fi Easr Alsultan Almujahid Eali Bin Dawd* 'The Apostolic State In The Age of The Mujahid Sultan Ali Bin Dawood' Master's Dissertatio, Jamieat 'Am Alquraa, Makat Almukrimatu, Saudi Arabia. [in Arabic]

Al-Sakhawi, M.A. (1992). *Aldaw' Allaamie Li'ahl Alqarn Altaasie* 'The Bright Light of The Ninth Century'. Lebanon: Dar of generation. [in Arabic]

AlSanjari, A.T. (1998). *Manayih Alkarm Fi 'Akhbar Makat Walbayt Wawalat Alhurma* 'Weapons of Generosity in the News of Mecca And The Home And The Governors of The Sanctuary'. Saudi Arabia: Jamieat 'Am Alquraa. [in Arabic]

Al-Tabari, A.A. (1996). *Al'arj Almaskiu Fi Alttarikh Almakia* 'Argic Musky In Meccan History'. Saudi Arabia: Almuktabat Altijariat. [in Arabic]

Alyafiei, A.A. (1997). *Marat Aljanan Waeibrat Alyaqzan Fi Maerifat Ma Yaetabir Min Hawadith Alzumani* 'The Mirror of Heaven And The Lesson of Awakening In Knowing What Are Considered To Be Incidents of Time'. Lebanon: Dar Alkutub Aleilmiat. [in Arabic]

Alyemeni, M.A. (1929). *Albadar Altaalie Bimuhasin Min Baed Alqarn Altaase* 'Full Moon Horoscopes After The Ninth Century'. Egypt: Happiness Press. [in Arabic]

Al-Zarkali, K.M. (2002). *Al'aelamu* 'Media'. 15th edition. Lebanon: Dar Aleilm. [in Arabic]

Matouk, S.Y. (1987). *Eilm Alhadith Fi Makat Almukaramat Khilal Aleasr Almamluki* 'Modern Science In Makkah During The Mamluk Era'. PhD Thesis, Jamieat 'Am Alquraa, Makat Almukrimat, Saudi Arabia. [in Arabic]

Mirza, N. and Meraj, A. (2003). *'Atlis Madinatan Makatan Almukaramat Walmashaeir Almuqadasat* 'Atlas of the Holy City of Mecca and the Holy Places'. Saudi Arabia: King Fahd National Library.

Milibari, A. (2009). *Al'aswaq Fi Madinat Makat Almukramatu* 'Markets in the City of Mecca'. Master's Dissertation, Jamieat 'Am Alquraa, Makat Almukrimatu, Saudi Arabia. [in Arabic]

Taqosh, M.S. (2007). *Tarikh Almughawl Aleizam Wal'iilkhaniiyna* 'History of The Great Mughals And The Ilkhanites'. Lebanon: Dar Alnafays. [in Arabic]

Tartour, S.R. (1987). *Aldawlat Aljalayiriatu* 'The Gallary State'. Egypt: Dar Alhday. [in Arabic]